

الأساليب النحوية ودورها في توثيق عرى الحجة والإقناع

(قصيدة واحر قلباه أنموذجاً)

د. عبد الله محمد القرارعة

د. رابعة عبد السلام المجالي

أستاذ مساعد/ جامعة الطفيلة التقنية

أستاذ مشارك/ جامعة مؤتة

كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

الملخص:

يتناول هذا البحث الحديث عن دور الأساليب النحوية في توثيق عرى الحجة والإقناع لدى المتلقي، وتطبيق ذلك على قصيدة "واحر قلباه" للمتنبّي، إذ يهدف هذا البحث إلى إثبات دور هذه الأساليب النحوية في دفع المتلقي إلى الاقتناع بما يقوله المتكلم، انطلاقاً من قدرتها الإفصاحية، ودورها الحجاجي، وطبيعتها الإنشائية.

ولقد جاء البحث وفقاً لثلاثة أقسام، تناول القسم الأول مصطلحات البحث، في حين تناول القسم الثاني بيان علاقة الأسلوب النحوي بالحجة والإقناع، وكان القسم الثالث تطبيقياً على القصيدة.

ولقد توصل البحث لمجموعة من النتائج كان من أبرزها أن المتنبّي يركز على إيراد الأساليب النحوية حين يكون الخطاب لسيف الدولة، ويتعد عن هذه الأساليب حين يفخر بنفسه، وهو ما يؤيد وعيه بقيمة هذه الأساليب في الحجة والإقناع، وقد أثبتت الخاتمة مجموعة النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب النحوي/ الحجة/ الحجاج/ الإقناع.

Abstract

This research deals with the role of grammatical methods in affirming argument and persuasion with the recipient, and applying that to Al-Mutanabi's 'Wa Harra Qalbah', as this research aims to prove the role of these grammatical methods in pushing the recipient to be convinced of what the speaker says, based on informativeness, argument and its structural nature.

The research is made to three sections. The first section deals with search terms, while the second section deals with the statement of the relationship of the grammatical method to argument and persuasion. The third section is an application to the poem.

A set of results are highlighted through this research, the most prominent of which was that Al-Mutannabi focuses on the inclusion of grammatical methods when the speech is directed to Saif Al-Dawlah and avoid such methods when he is proud of himself, which supports his awareness of the value of grammatical methods in argument and persuasion. The conclusion has proven the set of results that the research reached.

Keywords: grammatical styles; argument; persuasion.

المقدمة:

تشكل الأساليب اللغوية والنحوية ميزة هامة من بين مميزات اللغة العربية التي لا تعدّ ولا تحصى، وتأخذ هذه الأساليب اللغوية في عمومها مسار الإنشاء، سواء أكان إنشاءً طبلياً أم غير طبلي، كما تحمل في ثناياها مظاهر انفعالية مرتبطة بالمتكلم أو المرسل، وهذه الانفعالات والعواطف التي تتمازج بالأساليب النحوية تبحث عن طريقها إلى ذهن السامع وقلبه، للوصول إلى تفاعله هو أيضاً بالصورة التي تتناسب الموقف الكلامي، بمعنى أن مرسل الخطاب اللغوي يسعى إلى إشراك المتلقي بمنظومة العواطف والانفعالات التي دفعته لإنجاز هذا الخطاب اللغوي، ومن ثم فهو يفيد من الأساليب اللغوية الإفصاحية ما استطاع كي يصل إلى إقناع المتلقي بتلك الرسالة الكلامية.

وجاءت قصيدة "واحرّ قلباه" للمتنبّي عتابية، مدحية لسيف الدولة، وافتخارية بالمتنبّي، وقد كان جُلّ سعي المتنبّي أن يقنع سيف الدولة بأحقّيته دون سائر الشعراء بالاستحواذ على قلبه وعقله، وأن يقنعه بأن ما قاله الواشون مجرد حسد ووشاية كاذبة، من هنا ابتدع هذه القصيدة وضمّنها مجموعة من الأساليب اللغوية التي تدفع المتلقي للاقتناع بما يقوله.

وتظهر أهمية هذا البحث في أنه يحاول إثبات الدور الإقناعي الذي تلعبه الأساليب النحوية في الخطاب اللغوي، وقدرة هذه الأساليب على توثيق عرى الحجة التي يأتي بها الخطاب، وصولاً إلى إقناع المتلقي، كما تظهر أهمية هذا البحث في أنه يربط اللغة بجانبها التركيبي البحث بعناصر الاحتجاج التي تخضع للعقل والاستدلال والبرهنة.

أما مشكلة هذا البحث فتتمثل في إيجاد عناصر الأساليب اللغوية المختلفة وتوضيح دورها في توثيق الحجة عند السامع، وتوليد القناعة لديه، من هنا فقد برزت مجموعة من الأسئلة التي يحاول البحث الإجابة عنها، وهي:

. ما مفهوم الأسلوب النحوي والحجة؟

. ما العلاقة بين الأساليب النحوية والحجاج والإقناع؟

. كيف وظّف المتنبي الأساليب اللغوية في الوصول إلى مزيد من الإقناع؟

. ما أبرز الأساليب اللغوية التي اعتنى المتنبي بإيرادها في قصيدته لتدعيم حججه وأدلتها؟

ويهدف هذا البحث إلى توضيح المفاهيم الرئيسية التي ينطلق من خلالها، كالحجة والأسلوب النحوي، والإقناع، ونحو ذلك، كما يهدف إلى ربط هذه المعاني والأفكار بالوظيفة اللغوية للأساليب النحوية وكيفية تأثيرها في الحجة والإقناع، وتوضيح دورها في توثيق الحجج ورفد الإقناع.

كما يهدف البحث إلى بيان الكيفية التي انتهجها المتنبي في توظيف تلك الأساليب اللغوية والنحوية للوصول إلى تدعيم حجته، وتقوية أدلته سعياً لإقناع المتلقي برسالته اللغوية، وبيان أبرز الأساليب النحوية التي ركّز عليها المتنبي في حجاجه.

أما فيما يتعلق بالدراسات السابقة، فقد توصلت إلى بحث بعنوان: "شعرية الحجاج في قصيدة واحر قلباه دراسة تحليلية، كتبه الدكتور الرحالي الرضواني، وهو بحث منشور على شبكة الإنترنت، والراجح أنه ضمن مقرر دراسي للدكتور الرضواني.

وتناول هذا البحث الحديث عن جوانب تحليلية في قصيدة واحر قلباه، يضاف إليها بعض عناصر الحجاج، دون التركيز على الأساليب النحوية الواردة في القصيدة.

ويسير هذا البحث وفقاً لخطوات المنهج الوصفي التحليلي، مستنداً إلى الاستقراء المفضي إلى النتائج الموازية للجهد المبذول، وهو منهج يتعدى الوصف إلى التحليل والتفسير فتكتمل بذلك المنهجية على الوجه الصحيح.

وينقسم البحث لثلاثة أقسام هي:

أولاً: توطئة، وتتناول الحديث عن مصطلحات البحث الرئيسية.

ثانياً: علاقة الأسلوب النحوي بالإقناع.

ثالثاً: دور الأسلوب النحوي في الحجة والإقناع من خلال قصيدة "واحر قلباه".

أولاً: توطئة:

تمتلك اللغة العربية عدداً كبيراً من الأساليب اللغوية النحوية التي تمنح المتكلم مساحة أوسع للتعبير عن مراده من جهة، وللتأثير في المتلقي من جهة أخرى، إذ لا ينحصر دور هذه الأساليب في تنوع الكلام فحسب، بل تتعدى ذلك لتصير أداة للتأثير في المتلقي كي يتناسب موقفه الانفعالي مع ما يريده المتكلم أو طارح الخطاب.

ومصطلح الأسلوب مأخوذ من الجذر "سَلَب"، إذ يمنحنا هذا الجذر دلالة على الطريق الواضح المستقيم^(١)، ومن جهة ثانية فقد أشارت المعاجم اللغوية إلى أن مصطلح "أسلوب" دال على معنى الفن والطريقة، ويُجمع على أساليب، وكل شيء امتدّ من غير اتّساع فهو أسلوب^(٢)، ومن هنا قيل للشجر "سَلَب"؛ لأنه إذا أخذ ورقه وسعفه امتدّ وطال^(٣).

١. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ٣/٣٠٩.

٢. الحميري، نشوان بن سعيد (ت: ٥٧٣هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإيراني، ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت. لبنان، ودار الفكر، دمشق. سوريا، ط١، ١٩٩٩م، ٥/٣١٥٨.

٣. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (ت: ١٠٩٤هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان، د.ط، ود.ت، ص: ٨٢. ٨٣.

نلاحظ ارتكاز المعنى اللغوي السابق على فكرة الامتداد والطريقة والفن، فهذه المعاني هي التي تتداخل في الوصول لمعنى "أسلوب"، وإن أكثر ما يهمننا من هذه المعاني معنى الفن والطريقة، إذ به نتعرف على معنى الأسلوب اصطلاحاً.

وعند النظر في المعنى الاصطلاحي لمصطلح "أسلوب" نجد أنه متشعب الأوصال، متعدد الأفكار، مشتبك بجوانب علمية مختلفة، فهو متعلق بسبب من الأسلوبية، وبسبب آخر من الأدب، وبسبب آخر من اللغة، ولكل فريق من هذه الفروع العلمية وجهة نظره الخاصة في تحديد معنى الأسلوب، فقد نُظِر إليه باعتبار الكاتب أو المرسل، إذ لكل كاتب أسلوبه الخاص، وطريقته المميزة في الكتابة، فصار الأسلوب هو الشخص نفسه (الكاتب)، وهناك من نظر إلى معنى الأسلوب انطلاقاً من النص نفسه، فكل نص يحتم على الكاتب طريقة خاصة في الكتابة، من هنا يمكن أن نمح كل نص أسلوباً خاصاً، ومن جهة ثالثة فقد نظر بعض المفكرين إلى مفهوم الأسلوب انطلاقاً من المتلقي، فإن المتلقي هو الذي يمنح النص الحياة، وهو الذي يخرج إلى دائرة الوجود بعد أن كان في عتبات اللاوجود، وغيرها من التعريفات ووجهات النظر التي تناولت هذا المصطلح تعريفاً وتوضيحاً⁽¹⁾.

ومع تكاثر وجهات النظر التي عرّفت الأسلوب وازدحامها في بعض الأحيان، فإن ما يهمننا في ذلك التوفيق بين هذه الآراء، ومحاولة المزج بينها، انطلاقاً من كون الأسلوب يعدّ مزيجاً بين الكاتب والمتلقي والنص نفسه، كما يهمننا من جهة ثانية النظر في مفهوم الأسلوب اللغوي الذي نحن بصدد الحديث عنه، وما هذا الأسلوب اللغوي إلا طريقة مخصصة في عرض الكلام، وآلية

¹ . يمكن الاستزادة من ذلك من خلال العودة إلى: إسماعيل، عز الدين (ت: ٢٠٠٧م): الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، بيروت . لبنان، د.ط، ود.ت، ص: ٢١ - ٢٢، وعبد الجواد، إبراهيم عبد الله أحمد: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان . الأردن، ط١، ١٩٩٦م، ص: ٤٠ . ٤٦.

تركيبية متميزة ينفرد بها كل أسلوب لغوي عن الآخر، فالطريقة التركيبية التي يأتي عليها الاستفهام تختلف دون شك عن الطريقة التركيبية التي يأتي عليها التعجب مثلاً، أو النداء، أو الأمر، أو غيرها من الأساليب اللغوية المختلفة.

كما نضيف هاهنا إلى مفهوم الأسلوب النحوي أنه ذو وظيفة دلالية متميزة بين أسلوب وآخر، فكما أن الشكل التركيبي متغاير بين الأساليب، فكذلك الأمر بالنسبة للدلالة، فكل أسلوب نحوي له دلالاته الخاصة، وتأثيره الخاص بالمتلقي.

وانطلاقاً من فكرة هذا البحث، فلا بد من الإشارة إلى مفهوم الحجة والحجاج التي يتوصل بها الكاتب أو المتكلم إلى الإقناع، ومن ثم توظيف ذلك في الجانب التطبيقي على قصيدة: "واحر قلباه".

فمصطلح الحجاج مشتق من الجذر "حَجَجَ"، ومنه أخذ لفظ "الحجة"، وهو دال في اللغة على معنى الدليل والبرهان^(١).

ومن هنا جعل المناطق مصطلح "الحجة" و"الحجاج" و"البرهان" مرتبطة ببعضها ارتباطاً عضوياً لكونها تنطلق من أدلة عقلية شاملة^(٢).

وعند الانتقال للمعنى الاصطلاحي نجد الجرجاني يجعل من الحجة والدليل شيئاً واحداً، وهو ما أشار إليه المناطق من قبل، إذ يقول: "ما دل به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد"^(٣).

١. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ، ٢/٢٢٦ - ٢٢٧، مادة (حجج) .

٢. عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ص: ١٣٢.

٣. الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ): التعريفات، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص: ٨٢.

ويرتبط الحجاج بالحجة، إذ هو مصدر الفعل "حاجج" نقول: حاجج فلان فلاناً حجاً ومُحاججة، أي قدم الحجج والبراهين لإثبات دعواه وصحة ما يذهب إليه، وقد لاقى هذا المصطلح رواجاً كبيراً في أطر الدراسات الحديثة انطلاقاً من ربطه بالنصوص اللغوية ووظائف الخطاب، فصار منطلقاً لنظرية نقدية تقوم على أساس توظيف عناصر اللغة وتأطيرها ضمن أسس محددة ومعينة، وتوظيف الآليات اللغوية المختلفة لحمل المتلقي على الاقتناع بما يقوله المتكلم أو النص، وزيادة هذا الاقتناع ما أمكن^(١).

وبناء على ما سبق فإن الحجة سبيل للإقناع، وإن لكل متكلم طريقته في إيراد الحجج والبراهين، وهو ما سنبينه في حديثنا عن دور الأساليب النحوية وتنوعها في حمل المتلقي على الاقتناع بما يقوله المتكلم، وما تتركه هذه الأساليب النحوية من أثر في هذا المتلقي لحمله على الاقتناع وتوثيق عرى الفعالة لديه بالشيء المطروح ضمن الخطاب النصي.

ثانياً: علاقة الأسلوب النحوي بالإقناع:

بعد أن تحدثنا عن مفهوم الأسلوب النحوي، ومفهوم الحجة والحجاج، وبيننا علاقة الحجة والحجاج بالإقناع، انطلاقاً من كون الحجج والبراهين والحجاج برتمته سبيل لحمل المتلقي على الاقتناع بما يقوله الخطاب النصي، فإننا نرى أن الأسلوب النحوي كذلك سبباً لحمل المتلقي على الاقتناع بما يقوله الخطاب أولاً، والمخاطب/ المتكلم ثانياً، وفي هذه العجالة سنوضح دور الأسلوب النحوي في الإقناع.

١. انظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م، ص: ٢١.

يشكّل الأسلوب النحوي طريقة في الكلام والتركيب، وهي قائمة على تنوع الخطاب، ومراوحة بين الخبر والإنشاء وفقاً لمصطلحات القدماء، وهذا التنوع له أثره في التلقّي بصفة عامة، وله تأثيره في المتلقّي ذاته، وهو ما يفهم من فحوى كلام ابن قتيبة حين تحدّث عن بناء القصيدة، حيث قال: "أنّ مقصد القصيد إنّما ابتداءً فيها بذكر الديار والدّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظّعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم عن ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلاً، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان. ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأنّ التشبيب قريب من النفوس، لائتط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقاً منه بسبب، وضارياً فيه بسهم، حلال أو حرام. فإذا علم أنّه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقّب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النّصب والسّهر، وسرى الليل وحرّ الهجير، وإنضاء الرحلة والبعير. فإذا علم أنّه قد أوجب على صاحبه حقّ الرجاء، وضمامة التأميل، وقرّر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة، وهزه للسّماح، وفضّله على الأشباه، وصغّر في قدره الجزيل"⁽¹⁾.

بيّن ابن قتيبة في كلامه السابق الطريقة التي عرفها العرب في بناء القصيدة، والغاية التي أرادها الشعراء من تنوع الموضوعات والأساليب في مطالع قصائدهم، وهي الغاية التي عبر عنها ابن قتيبة بقوله: فبعثه على المكافأة، وهزه للسّماح، فإن هذا التنوع يؤثر في المتلقّي،

1. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ): الشعر والشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة مصر، د.ط، 1423هـ/ 2003م، 1/ 75 - 76.

ويستحكم من قلوب السامعين، ويتعلق في نفوسهم، فهذه هي العلاقة الوثيقة بين الأسلوب بصفة عامة والإقناع.

ولا شك أن تنوع الموضوعات في القصيدة يستوجب تنوعاً في الأساليب اللغوية التي يستعملها الشاعر في أبياته، فالشكوى والحنين، والمدح، والتشبيب كلها تستدعي مجموعة من الأساليب النحوية التي توثق عرى القناعة لدى المتلقي، وهو ما سنثبته في هذا البحث.

ومن جهة ثانية فإن الأساليب النحوية تشكل نماذج من الجمل الإفصاحية في العربية، وفقاً للتقسيم الذي يتبناه بعض المحدثين، فهم لا يقفون عند حدود الجملة الإخبارية والإنشائية فحسب، بل يذكرون قسماً ثالثاً يتمثل بالجملة الإفصاحية، وهي تلك الجمل التي تتضمن انفعالات نفسية أو تعبيرية يأتي بها المتكلم فتكشف عما في نفسه من عواطف وانفعالات، من هنا سُميت جملاً إفصاحية، وهي تلك المتضمنة للاستفهام والنداء والتعجب وغيرها من الأساليب والأنماط الانفعالية اللغوية⁽¹⁾.

ويحاول مبدع الخطاب الأدبي أن يدفع المتلقي إلى الاقتناع بما أتى به، ونتيجة لإحساس المبدع بضرورة هذا الاقتناع من قبل المتلقي فإنه يلجأ إلى تنوع الأساليب اللغوية، والأدوات الكلامية، فقد يلجأ إلى التكرار قاصداً به تأكيد المعنى والدلالة التي يسعى إلى إقناع المتلقي بها، وقد يلجأ أيضاً إلى الأساليب اللغوية القائمة على أساس من التقابل كالأمر والنهي، والسبب والمسبب، وغيرها من الأساليب، وينوع كذلك في الأنماط اللغوية المختلفة، ليصل إلى مستوى لغوي قادر على إقناع المتلقي بفحوى هذا الخطاب⁽²⁾.

1. انظر: الخليل، عبد القادر مرعي: أساليب الجملة الإفصاحية في النحو العربي دراسة تطبيقية في ديوان الشابي، مؤسسة رام للطباعة والنشر، الكرك - الأردن، ط 1، 1995م، ص: 75.

2. انظر: أبو زيد، نوري سعودي: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، صطيف - الجزائر، ط 1، 2009م، ص: 96 - 97.

إن قدرة الشاعر على تنويع الأساليب اللغوية، والدلالات الأسلوبية، والعناصر الموضوعية والفنية تجعل من نصه نصاً مقنعاً بالنسبة للمتلقي، وهو ما ظهر لنا في قصيدة "واحرّ قلباه"، فقد راوح الشاعر بين الفخر والمدح والهجاء ضمن موضوعات القصيدة، كما تبنى فكرة التناظر أو التقابل بين الثنائيات المختلفة، وذلك سعياً منه لمزيد من الإقناع لسيف الدولة الحمداني، وإحساساً منه بضرورة هذه التنويعات للوصول إلى إثبات أحقيته وتفوقه دون سواه من الشعراء في الاستحواذ على قلب سيف الدولة، وعلوّ مرتبته الشعرية قياساً بغيره من الشعراء⁽¹⁾.

يتضح مما سبق الكيفية التي تؤثر فيها الأساليب النحوية واللغوية المختلفة في إقناع المتلقي بما يقوله الكاتب أو الشاعر، انطلاقاً من القوة الإفصاحية التي تتمتع بها هذه الأساليب من جهة، ومن طبيعتها التعبيرية القائمة على الانفعال من جهة ثانية، ومن طبيعة المراوحة بين الإخبار والإنشاء لدفع المتلقي إلى مزيد من التفاعل مع ما يقوله النصّ، يضاف إلى ذلك قوتها التأثيرية الآتية من علاقتها بالعواطف الانفعالية، وهو ما سنطيقه تالياً.

ثالثاً: دور الأسلوب النحوي في الحجة والإقناع من خلال قصيدة "واحرّ قلباه":

تعدّ قصيدة "واحرّ قلباه" من بين أكثر القصائد العربية شهرة في غرض العتاب، إذ إن المنتبّي يعاتب فيها سيف الدولة الحمداني على ما وقع منه من بعض التجاهل وتقديم من هو لا يستحق التقديم في مجلسه، بل وسماعه الشعر من غيره، فقد كان ذلك يشقّ كثيراً على نفس المنتبّي، ويجعله مستشعراً للأسى والألم لما يقع من سيف الدولة من تقديم مثل هؤلاء الشعراء

¹ . انظر: الرضواني، الرحالي: شعرية الحجاج في قصيدة واحر قلباه، دراسة تحليلية، بحث منشور على شبكة

الإنترنت، بتاريخ: ٢٠١٥/٢/٦م، الرابط: http://erradouani.blogspot.com/2015/02/blog-post.html?sa=X&ved=2ahUKEwiIvNTSk4nnAhWM26QKHe_aB1oQFjAAegQIBxAB.

الزعانف - كما سمّاهم - وهو أحقّ بالتقديم منهم، كما يعاتبه على سماعه للعاذلين الذين يريدون الإيقاع بين المتنبّي وسيف الدولة^(١)، هذه المعاني كلها أوردها في قصيدته العتابية "واحرّ قلباه". وانطلاقاً من طبيعة مناسبة هذه القصيدة والغاية منها، فمما لا شك فيه أن المتنبّي سيُسخر جميع طاقاته الفنية، وقدراته اللغوية لدفع عجلة الحجاج في هذه القصيدة كي يجعل سيف الدولة الحمداني يقتنع بما يقوله، ويسلم بما فنّده المتنبّي في مقابل أولئك الخصوم الذين قدّمهم سيف الدولة عليه منذ البيت الأول في القصيدة، إذ يقول^(٢):

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيمٌ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ

يمثل هذا البيت مطلعاً موفقاً لأبي الطيب المتنبّي في قصيدة عتابية، مع الأخذ في الاعتبار الدلالة المزدوجة لهذا البيت، فهو من جهة دالّ على الغزل، فكأن الشاعر يتغزل بمحبوبة ما، وهو يشكو شدة حرّ قلبه مع برودة قلب تلك المحبوبة، ومن جانب آخر يمثل هذا البيت مطلعاً عتابياً بين المتنبّي وسيف الدولة حينما ننظر إلى السياق العام للقصيدة نفسها. وأشار ابن رشيق القيرواني إلى هذا المطلع، إذ عدّه من باب النسب، وأكد أن البيت الثاني من المدح^(٣).

١. انظر في مناسبة القصيدة والغاية منها: ابن الإفليلي، أبو القاسم إبراهيم بن محمد (ت: ٤٤١هـ): شرح معاني شعر المتنبّي السفر الأول، دراسة وتحقيق: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ٤٢/٢، وابن الأثير، ضياء الدين (ت: ٦٣٧هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة مصر، د.ط، ود.ت، ٦٨/٣.

٢. ابن الإفليلي: شرح معاني شعر المتنبّي، ٤٢/٢.

٣. القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (ت: ٤٦٣هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت لبنان، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ١٢٣/٢.

وعند النظر في بداية هذا البيت نجد أنه بدأ بأسلوب لغوي بحت، وهو الندبة، فقال: واحرّ قلباه، وأسلوب الندبة مظهر من مظاهر النداء غير أنه يحمل معنى التفجع على المندوب، ولا بد لهذا الأسلوب من أن يبدأ بـ "يا"، أو "وا"، وهو ما رأيناه في البيت السابق^(١).

لقد أراد المتنبي أن يستفيد من القوة التأثيرية التي تتمثل ضمن أسلوب الندبة، وأراد أن يوظف فكرة التفجع التي ترتبط بالمندوب "القلب" في هذا الأسلوب ليستميل عاطفة المتلقي، فإن وجود هذا الأسلوب القائم على فكرة التفجع يبادر المتلقي ببداية استعطافية عميقة، تجعل من ذهنه متأثراً بما سيأتي بعد من الكلام، وهو ما يعضد موقف الشاعر - المتنبي - أمام خصومه وسيف الدولة، ويجعل من فكرة التفجع المتمثلة في أسلوب الندبة جسراً للعبور إلى قلب سيف الدولة كي يخاطبه بما يريد، فيدفعه إلى الاقتناع بما يقوله وما يدافع به عن نفسه، ويثبت أحييته في الحضوة والمكانة المتقدمة عند سيف الدولة.

ولا يدع الشاعر المتلقي في حيرة من أمره أمام هذا البيت المحتمل لمعانٍ النسيب والعتاب ونحوها، بل يبادره في البيت الثاني ليجعله متفهماً لطبيعة هذا الحب، إنه حب سيف الدولة، يقول^(٢):

مَا لِي أَكْتُمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الأُمِّ

يحمل هذا البيت نمطاً من الانتهاز النفسي، فالمتنبي ينهر نفسه لما يقع منها من كتمان ذلك الحب الذي تكنه لسيف الدولة، وهي صادقة في هذا الحب، في الوقت الذي يدعي فيه الآخرون حبهم الشديد لهذا الأمير، وكله محض افتراء وادعاء.

١. انظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت: ١٨٠هـ): الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط٣، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ٢/٢٢٠، وابن السراج، أبو بكر محمد بن السري (ت: ٣١٦هـ): الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، د.ط، ود.ت، ٣٥٥/١.

٢. ابن الإفيلي: شرح معاني شعر المتنبي، ٤٢/٢.

ويتبدى الاستهفام في هذا البيت في قول الشاعر: ما لي أكتّم....، فهذا الاستهفام يحمل صفة إنكارية على النفس التي تكتم ذلك الحب، ويدفعها إلى الاقتناع بالبوح به. إن مخاطبة النفس على هذه الشاكلة، وإثبات المحبة لسيف الدولة وفقاً لهذا الأسلوب النحوي يجعل المتلقي متفاعلاً مع الخطاب، ومُعملاً ذهنه في محاولة البحث عن إجابة لهذا السؤال، فما الذي يجعل المتنبّي مكتماً حبه لسيف الدولة في الوقت الذي يدعي فيه الكل حبه؟ وهذا التفاعل الذهني هو الذي يجعل موقف المتنبّي أكثر قوة في مقابل المواقف الأخرى، كما يجعل حجته أقوى وأثبت.

ويُكتّف المتنبّي من الأساليب النحوية بأنماطها الإفصاحية في محاولة منه لرفد حجته بمزيد من وسائل الإقناع اللغوية، فيأتي في البيت الثالث بالشرط، يقول⁽¹⁾:

إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِعُرَّتِهِ فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحَبِّ نَقَسِمُ

تهيمن فكرة الشرط على هذا البيت الشعري الحجاجي الذي أتى به المتنبّي، فهو على ثقة تامة بأنه أشدّ المحبين لسيف الدولة، فحبه في كفة، وحبّ سواه في كفة أخرى، وهو يزعم أن حبه وحده أشدّ من حبهم جميعاً، الأمر الذي جعله على ثقة بأنهم لو اقتسموا بقدر ذلك الحب لكانت قسمته وحده أكثر منهم مجتمعين، وهو ما أوحى به أسلوب الشرط.

وتركيز المتنبّي على الشرط في هذا البيت وضمن هذه الفكرة يجعل من موقفه أقوى في مقابل أولئك الخصوم، فقد جعلهم جميعاً صفاً واحداً، وقابل نفسه بهم وحده، ممّا يُدخل قدراً كبيراً من الاقتناع على ذهن المتلقي حين يستمع لهذه المقارنة غير المتكافئة قدراً وعدداً، فيميل بصورة مباشرة لجانب المتنبّي إذ كفى به وحيداً أمام كل هؤلاء المدّعين للحبّ.

1. ابن الإفيلي: شرح معاني شعر المتنبّي، ٤٣/٢.

ثم يتحوّل المنتبّي في قصيدته لمدح سيف الدولة، قاصداً بذلك إبراز بعض ما يعتمل في نفسه من محبة هذا الأمير الذي يرى فيه ما لا يراه في غيره، وفي واستمرّ المنتبّي على نهجه برفد المعاني والاستدلالات والحجج بالأساليب النحوية التي تقوي حجته، وتشدّ من عُراها، يقول^(١):

أَكْلَمًا رُمْتَ جَيْشًا فَأَنْتَنِي هَرَبًا تَصَرَّفْتُ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهَمُّ

يأتي أسلوب الاستفهام في هذا البيت الشعري ليجعل المنتبّي من المتلقّي بصفة عامة مقتنعاً بما يمدح به سيف الدولة، فإن الاستفهام هاهنا جاء لمعنى التأكيد، فكما رام سيف الدولة جيشاً، انتنى ذلك الجيش هرباً، وهو دلالة على قوته، كما دلّ الاستفهام على الكثرة. ومجيء الاستفهام على هذه الشاكلة يجعل من حجة المنتبّي أكثر قوة فيما يودّ إقناع المتلقي به، انطلاقاً من صفات سيف الدولة المختلفة عن صفات غيره، وانطلاقاً من أحقية المنتبّي بمحبة سيف الدولة دون سواه من الآخرين، ووجود هذا الاستفهام في البيت الشعري يؤثّق عُرى الحجة، ويقوي الاقتناع لدى المتلقي لكونه شريكاً ومتفاعلاً مع النصّ بسبب وجود هذه الأساليب الإنشائية القائمة على الطلب.

وتتماسك الأساليب الإنشائية وتتضامّ مع بعضها لتشكل مجموعة من العلاقات الداخلية التي تنظّم الوحدات الكلامية، فتدفع المتلقي لمزيد من التأثر والتفاعل مع موقف المنتبّي، وسعيه الحثيث ليأخذ سهم الحضوة الأولى لدى سيف الدولة، فيأتي بهذه الأساليب اللغوية لتشكل مجتمعة نمطاً من الإقناع الأسلوبية، فيقول^(٢):

عَلَيْكَ هَرْمُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَرَمُوا

١. ابن الإفليبي: شرح معاني شعر المنتبّي، ٤٥/٢.

٢. ابن الإفليبي: شرح معاني شعر المنتبّي، ٤٦/٢.

يوجي هذا البيت الشعري بشيء من الشرط الذي أتى به المتنبي ليحدث عن شخصية سيف الدولة، فيشترط عليه أن يهزم العدو في كل معترك، وفي الوقت نفسه فليس عليه عار إذا انهزموا أمامه، وهذا نمط شرطي ضمني يمنح المتنبي عنصراً تشاركياً مع سيف الدولة الحمداني، فالخطاب المباشر بينهما، ووجود الشرط يجعل الكلام مباشراً بين المتنبي وسيف الدولة، فيكون سيف الدولة بذلك أكثر تنبهاً لما يقوله المتنبي، ويأخذ قسطاً أكبر من التفاعل مع النص انطلاقاً من وجود الشرط ضمن مكونات هذا البيت، فيدفع سيف الدولة إلى الاقتناع أكثر بما يقوله المتنبي.

ثم يتابع⁽¹⁾:

أَمَّا تَرَى ظَفَرًا خُلُوعًا سِوَى ظَفَرٍ
تَصَافَحَتْ فِيهِ بَيْضُ الْهَيْدِ وَاللِّمَمِ

وهذا انتقال آخر من أسلوب نحوي إلى أسلوب آخر، يقصد منه المتنبي إبقاء المتلقي في دائرة التفاعل الذهني التي أدخله فيها منذ العتبة الأولى من القصيدة، قاصداً رُفد هذا المتلقي بمزيد من الجمل الإفصاحية المشتملة على قدر من العاطفة والانفعال، كي يحاكي انفعال المتلقي، ويجعل قناعته أشد وأقوى بما يقوله، فإن المتلقي يحس بوجوده في النص، ويشعر بأن هذا الكلام موجّه له، فيتفاعل مع النص، ويتماشي شيئاً فشيئاً مع مراد الشاعر المتمثل بتوثيق عُرى الحجة والإقناع، ليدفع سيف الدولة للاقتناع بما يقوله هو، ووضع المتنبي في المكانة الصحيحة التي يراها هو لنفسه.

وبعد أن خلق الشاعر جواً من التفاعل بينه وبين المتلقي - سيف الدولة بالدرجة الأولى - انتقل إلى شيء من الشكوى، والخطاب الندائي المباشر في الوصول إلى بعض ما يطمح إليه من التقدم على نظرائه، يقول⁽¹⁾:

١. ابن الإفليلي: شرح معاني شعر المتنبي، ٤٦/٢.

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مَعَامَلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْحَضْمُ وَالْحَكْمُ

لا يخفى علينا أن الشاعر قد أتى بأسلوب النداء بعد أن أدخل الأساليب النحوية المختلفة والمتنوعة في الكلام من قبل، فاشتراط، واستفهم، وندب، وهكذا، ثم أتى بأسلوب النداء، فهو لم يرغب بمناداة سيف الدولة مباشرة منذ العتبات الأولى من القصيدة، وإنما تدرج في الأساليب ليصل في نهاية المطاف إلى مبتغاه الذي من أجله حشد هذه الأساليب اللغوية، واستطاع أن يوظفها توظيفاً مناسباً يدعم فكرته، ويوحي بأحقيته في الحضوة والمكانة المتقدمة دون سواه من الشعراء الذين لا يصلون إلى مرتبته.

وقد جعل النداء هاهنا بأداة النداء "يا"، وهي أكثر أدوات النداء استعمالاً، وأوسعها مكاناً، إذ تستعمل للقريب والبعيد على حدّ سواء، ويطلق عليها النحاة مصطلح "أم الباب"، أي هي الأداة الأولى في أسلوب النداء^(٢)، وقد أتى بها المتنبي هاهنا لتحمل معنيي القرب والبعيد، فسيف الدولة قريب من قلب المتنبي، غير أنه بعيد عنه جسماً وعقلاً حين يستمع لخصوم المتنبي؛ لذا وصفه المتنبي بالخصم والحكم على حدّ سواء.

ولا شك بعد هذا النداء الصريح الذي أوضح فيه المتنبي عتابه المرير لسيف الدولة، لا بد أن يأتي بمجموعة من البراهين والحجج المشفوعة بالأساليب النحوية والفنية المختلفة حتى يدعم ما يقوله من العتاب، وحتى يجعل المتلقي مقتنعاً بما أتى به من الكلام، يقول^(٣):

وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ

١. ابن الإفليبي: شرح معاني شعر المتنبي، ٤٦/٢.

٢. انظر: ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد (ت: ٤٦٩هـ): شرح المقدمة المحسوبة، تحقيق: خالد عبد الكريم، المكتبة العصرية، الكويت، ط ١، ١٩٧٧م، ٢٧٥/١.

٣. ابن الإفليبي: شرح معاني شعر المتنبي، ٤٧/٢.

يمزج المتنبي في هذا البيت بين أسلوب الاستفهام والشرط، فهو يستفهم إن كان الإنسان لا يفرق بين النور والظلام فما الفائدة من بصره، فمزج بين الاستفهام والشرط، قاصداً بذلك التلميح على سيف الدولة الذي وصل لمرحلة لا يفرق فيها بين المتنبي بكل ما يتصف به من شعرية وإبداع، وبين أولئك الزعانف الذين لا يساوون شيئاً أمام شعرية المتنبي.

إن مجيء أسلوب الاستفهام على هذه الشاكلة يدفع المتلقي إلى البحث في ذاكرته وذهنه للوصول إلى إجابة هذا السؤال، وإن الوصول إلى إجابته تقضي بالتسليم لما يقوله المتنبي، والتسليم يعني الاقتناع بحجته والاستسلام لأدلته، وهو ما يقصده المتنبي تماماً من حشد هذه الأساليب اللغوية في هذه القصيدة.

ثم يأتي ببضعة أبيات يفخر فيها بنفسه، غير أنه يبتعد كل الابتعاد عن الأساليب النحوية التي يقصد أساساً منها رفقته وإقناع سيف الدولة بما يقوله، من هنا لم يركز على الأساليب النحوية الإفصاحية في هذه الأبيات التي تحدت فيها مفتخراً بنفسه، بل ركز على الجمل الإخبارية، ثم عرّج على أسلوب الشرط قائلاً⁽¹⁾:

إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَطُنَّنِ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمٌ

لقد عقب المتنبي بهذا البيت المشتمل على الحكمة بعد أن أتى على بعض مظاهر الفخر لديه، وهو تعقيب لا يوحي بأنه يفخر بنفسه، بل يصلح هذا البيت لأن يكون متعلقاً بالمتنبي، كما يصلح أن يكون متعلقاً بسيف الدولة ذاته، فهو علاوة على معنى الحكمة فيه لا يختص بالمتنبي اختصاصاً مباشراً، وهذا ما دفع المتنبي لإيراد الأسلوب النحوي فيه، وهو أسلوب الشرط.

١. ابن الإفيلي: شرح معاني شعر المتنبي، ٤٨/٢.

ثم تابع المتنبي بإيراد مجموعة من الأبيات التي افتخر فيها بنفسه، ولمّا عاد للإشارة إلى سيف الدولة أتى بأسلوب النداء، فقال^(١):

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ

عاد المتنبي إلى أسلوب النداء، إنه يجعل المتلقي متأثراً بما يقوله، ومستشعراً لثقل هذه المعاني في نفسه، فسعى السعي الحثيث لئبقي على هذا المتلقي داخل هذه الدائرة، ولم يجد خيراً من الأسلوب النحوي بصفة عامة لإبقاء المتلقي هكذا، فنداء المتلقي يجعله متأهباً لما يودّ المتكلم قوله، ومن ثم فالاستفهام والنهي، والأمر، وغيرها تستدعي مخاطباً/ متلقياً، وبالتالي يبقى هذا المتلقي في دائرة الانفعال التي يرصدها المتنبي ضمن هذه القصيدة.

ثم يتابع بأسلوب النفي والشرط^(٢):

مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمٌّ

يمزج المتنبي في هذا البيت بين أسلوب النفي والشرط، إذ تمثل النفي بـ "ما" وتمثل الشرط بـ "لو"، وهو مع هذا المزج يحرص على إيراد ضمير المخاطبين كي يبقى المتلقي في دائرة الانفعال التي رسمها له، وكي يستفيد من قوّة هذه الأساليب النحوية في دفع هذا المتلقي إلى الاقتناع بحجج المتنبي، والتسليم لبراهينه التي يدفع بها برهاناً تلو برهان ليبيّن لهذا المتلقي أنه أحقّ بالتقديم ممن سواه من الشعراء، فهو أفضلهم، وأقواهم، وأبلغهم، وغير ذلك من مظاهر الفخر التي افتخر فيها بنفسه.

ويتابع المتنبي هذا المزج الواضح الصريح بين الأساليب النحوية الدالة على الانفعال عند

خطابه لسيف الدولة، قاصداً التأثير فيه، ودفعه نحو الاقتناع بحججه ومقالته، فيقول^(١):

١. ابن الإفليبي: شرح معاني شعر المتنبي، ٥١/٢.

٢. ابن الإفليبي: شرح معاني شعر المتنبي، ٥١/٢.

إِنْ كَانَ سَرَكُكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لَجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ

فالمزج هاهنا بين أسلوبي الشرط والنفي، ولا يزال الشاعر حريصاً على ضمير الخطاب الذي يجعل المتلقي في خضم هذه المعطيات المعنوية، والدلالات الانفعالية التي يرسل بها المتنبّي لسيف الدولة، ويجعل من الأسلوب النحوي سبيلاً للوصول إلى غايته الإقناعية، فإنّ الشرط والنفي يمنحان المتلقي - سيف الدولة - مساحة للتفكير، ومساحة أخرى للتفاعل مع كلام المتنبّي، فيتمكّن بذلك من الوصول إلى مبتغاه بإدخال بعض مظاهر الاقتناع لنفس سيف الدولة. ويتبع المتنبّي هذه الأساليب بأخرى، فيقول^(٢):

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِرُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرْمُ

إذ يستمر الشاعر في خطابه لسيف الدولة، ويستمر كذلك بإيراد الأساليب النحوية الانفعالية، قاصداً بذلك جعل سيف الدولة متماشياً مع هذا الانفعال الآتي من هذه الأساليب النحوية التي تُشرك المتلقي مع المتكلم في الأعمال الذهني، فإن الاستفهام يتطلّب من المتلقي إجابة، فهو من الإنشاء الطلبي، وبالتالي فإن المتلقي يُعمل ذهنه في إيجاد تلك الإجابة ولو على سبيل التفكير فحسب، مما يدفعه إلى إعادة النظر في بعض مقتضيات الحال التي يتحدث عنها المتنبّي، ومن ثم يدفعه إلى الاقتناع بما يقوله، وهي الغاية التي لأجلها حشد المتنبّي كل هذه الأساليب النحوية، وحملها قدراً كبيراً من الدلالة الانفعالية المرتبطة بما في ذهنه من العتاب.

ثم لا يلبث الشاعر في البيت الذي يليه أن يترقّع عن كل عيب، وذلك عبر إشراك المتلقي

كذلك بأسلوب نحوي قائم على الانفعال، وهو أسلوب التعجب، فيقول^(٣):

مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنُّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي أَنَا النَّرْتِيَا وَدَانَ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ

١. ابن الإفليبي: شرح معاني شعر المتنبّي، ٥١/٢.

٢. ابن الإفليبي: شرح معاني شعر المتنبّي، ٥٢/٢.

٣. ابن الإفليبي: شرح معاني شعر المتنبّي، ٥٢/٢.

يتضمن هذا البيت شيئاً من الانحراف عن الآلية التي عودنا عليها المتنبي من قبل، فقد حرص على ربط الأساليب النحوية بخطابه لسيف الدولة، أو في حديثه عنه، أما هذا البيت فهو يتحدث عن نفسه، وقد أتى بأسلوب التعجب، ولكن ذلك لا يتناقض مع ما مضى، فهذا البيت مرتبط بمعنى الذي قبله ارتباطاً وثيقاً، ففي البيت السابق يطلب سيف الدولة العيوب للمتنبي، وفي هذا البيت ينفي المتنبي كل عيب يمسه بانتقاص أو انحطاط.

ثم يأتي المتنبي بأسلوب الشرط فيقول^(١):

لِئِنْ تَرَكَنْ ضُمَيْرًا عَنْ مَيَامِنَا لَيُخَذُّنَّ لِمَنْ وَدَعْنُهُمْ نَدْمٌ

يحمل هذا البيت بأسلوبه الشرطي شيئاً من التهديد الضمني، الذي قصد منه الشاعر مزيداً من التفاعل بينه وبين المتلقي، مع الإشارة هنا إلى ارتفاع حدة الخطاب في أواخر الأبيات بعد أن استحکم المتنبي من ذهن المتلقي - سيف الدولة - وتمكّن من غرس ما يريد غرسه في ذهنه وقلبه، واستطاع أن يستميله نحو الاقتناع بما أورده من حجج ومعانٍ استدلالية تجعله الأوفر حظاً بين أقرانه من الشعراء الآخرين، كل ذلك أفضى إلى هذه النبذة الحادة شيئاً ما في خطاب سيف الدولة، وهي جرعة زائدة من الانفعال التي أراد لها المتنبي أن تؤثر بصورة قوية في نفس سيف الدولة، فتدفعه إلى الاقتناع بما أفاض به.

ثم يتابع بالأسلوب نفسه قائلاً^(٢):

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا أَلَّا تُقَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ

يحمل هذا البيت بأسلوبه الشرطي شيئاً من التعادل مع البيت السابق، ففي الوقت الذي كان فيه البيت السابق يحمل مقداراً من الحدة والشدة في خطاب سيف الدولة، جاء هذا البيت ليحمل

١. ابن الإفليبي: شرح معاني شعر المتنبي، ٥٤/٢.

٢. ابن الإفليبي: شرح معاني شعر المتنبي، ٥٤/٢.

شيئاً من التطرية والإشارة إلى ضرورة الاقتناع بما يقوله المتنبي، فقد جعل المتنبي أمر بقائه ورحيله بيد سيف الدولة، فهو قادر على أن يبقيه ويمنعه من الترحل، وذلك يستوجب اقتناعه بما مضى من كلام المتنبي، ويبيده أن يدعه يرحل، ولكن المتنبي اختتم بقوله: فالراحلون هم، قاصداً بذلك إرجاع علة رحيله عن بلاط سيف الدولة إلى سيف الدولة نفسه، وهو ما استطاع أن يصل إليه عبر هذا البيت الرائع.

ثم يلمح الشاعر إلى أولئك الشعراء الزعانف الذين لا يقارنون به، ومع ذلك فسيف الدولة يقدمهم عنده، يقول⁽¹⁾:

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشَّعْرَ زَعِنْفَةً تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا عَجَمٌ

يستنكر الشاعر في هذا البيت على سيف الدولة أن يقدم مثل هؤلاء الشعراء عليه، ويرى فيهم أنهم ليسوا أهلاً للتقديم، بل إن العرب والعجم لا ترضى بذلك، وقد عبّر الشاعر عن شدة استنكاره لهذا كله من خلال أسلوب الاستفهام الإنكاري الذي بدأ به البيت الشعري، وجعل هذا الاستفهام وسيلة لإعطاء سيف الدولة مساحة أكبر للتفكير بما يقوله المتنبي في هذه القصيدة العتابية، وهو ما حاول منذ بداية القصيدة التركيز عليه، واستطاع أن يرصد لهذا المعنى مجموعة كبيرة من الأساليب والأبيات التي من شأنها أن تقود إلى الاقتناع بما يودّ المتنبي إيصاله لسيف الدولة.

الخاتمة:

1. ابن الإفيلي: شرح معاني شعر المتنبي، ٥٦/٢.

وختاماً، نرى أن المتنبي وضع جُلَّ طاقاته اللغوية والفنية والإبداعية في هذه القصيدة العتابية؛ ليتمكن من تحقيق جملة من الغايات التي أرادها، وأهمها دفع سيف الدولة إلى الاقتناع بموقفه العاتب عليه، والتمكّن من الوصول إلى المكانة المتميّزة عند سيف الدولة التي لا ينافسها فيها أحد، وإظهار العتاب المشوب بالمحبة لسيف الدولة الحمداني، والتقليل من شأن أولئك الشعراء الصغار في عين سيف الدولة، والافتخار بما عنده من شعر لا يماثله شعر في جودته وحسن صناعته، كل هذه الغايات قصدها المتنبي من هذه القصيدة، واستطاع توظيف الأساليب النحوية الإفصاحية للوصول إلى توثيق عرى الحجة والإقناع ضمن هذه القصيدة، ولقد توصل البحث لما يلي:

. كان المتنبي يحشد الأساليب النحوية عند حديثه عن سيف الدولة، أو عند مخاطبته؛ وذلك ليدفعه إلى مزيد من التفاعل والانفعال مع ما يقوله المتنبي.

. أما عندما ينتقل المتنبي للافتخار بنفسه فإنه يأتي بالجملة الإخبارية المباشرة دون التركيز على الأسلوب النحوي.

. زواج المتنبي بين الأساليب النحوية في البيت الواحد بقصد مزيد من التفاعل بينه وبين المخاطب، ومزيد من مخاطبة الذهن ليبقى ذهن المتلقي متابعاً لما يقوله المتنبي.

. استطاع المتنبي عبر الأساليب النحوية أن يمنح موقفه مزيداً من القوة، وأن يدفع المتلقي للاقتناع بما يقوله، انطلاقاً من طبيعة تلك الأساليب باشمالها على الانفعالات والعواطف، ومخاطبتها المتلقي بصورة مباشرة، وإشراكه في الخطاب، مما يمنح الذهن فرصة للتفكير والتفاعل مع النص، ليصل إلى الاقتناع بما يقوله الشاعر.

. ولكون الأساليب النحوية تعدّ جملاً إفصاحية؛ لما فيها من الانفعالات والعواطف، فإن تركيز المتنبي عليها في مخاطبة سيف الدولة جعلته يوظف تلك العواطف والانفعالات في مخاطبة

عواطف سيف الدولة نفسه، والتأثير فيه، ليصل في نهاية المطاف إلى إقناع سيف الدولة بموقفه وتمييزه عن سائر الشعراء الآخرين.

المصادر والمراجع باللغة العربية

ابن الأثير، ضياء الدين (د.ت): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة مصر، د.ط.

إسماعيل، عز الدين (د.ت): الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، بيروت . لبنان، د.ط.

ابن الإفليبي، أبو القاسم إبراهيم بن محمد (١٩٩٢م): شرح معاني شعر المتنبي السفر الأول، دراسة وتحقيق: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط١.

ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد (١٩٧٧م): شرح المقدمة المحسوبة، تحقيق: خالد عبد الكريم، المكتبة العصرية، الكويت، ط١.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي (١٩٨٣م): التعريفات، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١.

الحميري، نشوان بن سعيد (١٩٩٩م): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت . لبنان، ودار الفكر، دمشق . سوريا، ط١.

الخليل، عبد القادر مرعي(١٩٩٥م): أساليب الجملة الإفصاحية في النحو العربي دراسة تطبيقية في ديوان الشابي، مؤسسة رام للطباعة والنشر، الكرك - الأردن، ط١.

الدريدي، سامية(٢٠٠٨م): الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط١.

الرضواني، الرحالي: شعرية الحجاج في قصيدة واحر قلباة، دراسة تحليلية، بحث منشور على

شبكة الإنترنت، بتاريخ: ٢٠١٥/٢/٦م، الرابط:

<http://erradouani.blogspot.com/2015/02/blog->

[.post.html?sa=X&ved=2ahUKewilvNTSk4nnAhWM26QKHe_aB1oQFjAAegQIBxAB](http://erradouani.blogspot.com/2015/02/blog-post.html?sa=X&ved=2ahUKewilvNTSk4nnAhWM26QKHe_aB1oQFjAAegQIBxAB)

أبو زيد، نوارى سعودي(٢٠٠٩م): في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة

للنشر والتوزيع، صطيف - الجزائر، ط١.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (٩٨٨م): الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة

الخانجي، القاهرة مصر، ط٣.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري (د.ت): الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي،

مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، د.ط.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل(٩٩٦م): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار

إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط١.

عبد الجواد، إبراهيم عبد الله أحمد(٩٩٦م): الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث،

منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان . الأردن، ط١.

عبد الرحمن، طه(٩٩٨م): اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار

البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان، ط١.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٠٠٣م): الشعر والشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر،

دار الحديث، القاهرة مصر، د.ط.

القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (٩٨١م): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق:

محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت لبنان، ط٥.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (د.ت): الكلديات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،

تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، د.ط.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (١٤١٤هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت
لبنان، ط٣.

References and Bibliography

Abd al-Rahman, T (1998): Tongue and balance or mental expansion, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, Arab Cultural Center, Beirut, Lebanon, 1st Edition.

Abdul-Jawad, I (1996): Stylistic trends in modern Arab criticism, Publications of the Jordanian Ministry of Culture, Amman - Jordan, 1st Edition.

Abu Zaid, N (2009): In the pragmatics of literary discourse, principles and procedure, House of Wisdom for Publishing and Distribution, Setif - Algeria, 1st Edition.

Al-Daridi, S (2008): Al-Hajjaj in ancient Arabic poetry, from the pre-Islamic era to the second century of migration, its structure and methods, the modern world of books, a wall of the world book for publishing and distribution, 1st edition.

Al-Humairi, N (1999): Shams Al-Oloum wadawaa Kalam Al-Arab Min al-Kuloum, reviewed by Hussein bin Abdullah Al-Omari, Mutahhar bin Ali Al-Iryani, and Youssef Muhammad Abdullah, House of Contemporary Thought, Beirut - Lebanon, and Dar Al-Fikr, Damascus - Syria. First edition1.

Al-Jerjani, A (1983): Al-Taareefat, reviewed by a group of reviewers, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1st Edition.

Al-Kafwi, A (no date): a glossary of terms and linguistic differences, investigated by: Adnan Darwish, and Muhammad Al-Masri, Al-Resala Foundation, Beirut - Lebanon, d.

Al-Khalil, A (1995): Expressive Sentence Methods in Arabic Grammar, An Applied Study in Diwan Al-Shabi, Ram Foundation for Printing and Publishing, Karak - Jordan, 1st Edition

Al-Qayrawani, H (1981): Al-Umda fi Mahasin Al-Shi'r Wal-Adab, reviewed by Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Dar Al-Jeel, Beirut, Lebanon, 5th edition.

Al-R, Rahali: The Poetry of Al-Hajjaj in the Poem of One of the Worst Hearts, an analytical study, research published on the Internet, on: 6/2/2015 AD, link: http://erradouani.blogspot.com/2015/02/blog-post.html?sa=X&ved=2ahUKEwiIvNTSk4nnAhWM26QKHe_aB1oQFjAAegQIBxAB.

Ibn Al-Aflili, I (1992): Explanation of the meanings of Al-Mutanabbi's poetry, first book, study and investigation: Mustafa Alyan, Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon, 1st edition.

Ibn Al-Atheer, D (no date): Al-mathal Al-Sa'ir Fi Adab Al-katib Wash- Reviewed by Ahmed Al-Hofi, and Badawi Tabana, Dar Nahdat Misr, Cairo Egypt, no edition.

Ibn Al-Sarraj, M (no date): Al-Osoul Fi Al-Nahou, reviewed by Abdul-Hussein Al-Fatli, Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon, No edition.

Ibn Babshadh, T (1977): Sharh Al-muqadimah Al-Mahsoubah. Reviewed by Khaled Abdel Karim, Al-Mataba Al-Asriyyah, Kuwait, 1st Edition.

Ibn Manzoor, M (1993): Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, Lebanon, 3rd edition.

Ibn Qutaiba, A (2003): Poetry and Poets, Reviewed by Mahmoud Muhammad Shaker, Dar al-Hadith, Cairo, Egypt, d.

Ibn Sayyida, A (1996): Al-Mukhassas, reviewed by Khalil Ibrahim Jafal, House of Revival of Arab Heritage, Beirut - Lebanon, 1st Edition.

Ismail, E (no date): Literature and its arts, study and criticism, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Beirut - Lebanon, no edition.

Sibawayh, A (1988): Al-Kitab, Reviewed by Abdel Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Cairo Egypt, 3rd Edition.